

الرأس قل كله وصبيان وليس في الساقين الاخيطان
تلك التي يفرع منها الشيطان
فضحكك هشام حتى ضحكت النساء لضحكك وامر له بثلاثمائة دينار
وقال اجعلها في رجلي ظلامه مكان الخيطين

الاجنباء النخلة

اسباب الحرب الروسية العثمانية (تمة)

علم مما نشرناه في الجزء الماضي ان الدول الاوربية اغتتمت فرصة
اشغال روسيا الفتنة في بلاد البلقان العثمانية لان تجعل لها حقاً رسمياً في زلزلة
استقلال الدولة العلية بمشاركتها في احكامها وادارتها ولو في بعض الولايات
وان تصدق الدولة على ذلك لتقوم الحجة عليها في كل آن وان هذا هو السبب
في رفض مطالب المؤتمر . وقد كان مدحت باشا ابصر رجال الدولة بعاقبة
الحرب التي تتوقع من رفضها كما كانت اعلمهم بضرر قبولها . واننا نشر
المذكرة والمشاوره في هذا الامر مما كتبه الجوائب عن المجلس الامي الذي
اصر به مولانا السلطان يومئذ وهو :

« قال مدحت باشا : اذا رفضنا مطالب الدول ادى ذلك الى فسخ
المؤتمر فربما يعلن بعض الدول بحربنا والمترجح عندي ان دولتي انكثرا
وفرنسا يبقيان على الحيادة اما الروسية التي هي اصل اقتراح هذه المطالب
فيحتمل انها تجري ايجابها علينا بالسيف . واما اوستريا فيحتمل ان من رعيته
..... ١٧٠٠٠٠٠ من الصقالبة فمن الصمب علينا ان نجزم بما يتأني لها ان تفعله فاذا

كان سكانها من المجر يتساهلون معها فلا يبعد انها تتحد مع الروسية وتعلن بمحاربتنا فيمكنها والحالة هذه ان تستولى على بوسنه وهرسك الى مدة غير معلومة . اما سكان الصرب والمملكيتين (الافلاق والبندان) والجلب الاسود فالاقرب الى المعقول انهم يكونون اضدادا لنا فليس من المحتمل ان تشكل على مساعدة احد من الخارج . فاذا اعتبرتم هذا كله فلا نخفي على انفسنا ان احوالنا في بحران

« فقال صبحى باشا : ان الصقالبه من سكان اوستريا ليس عندهم من القوة ما يكون به خطر علينا . فطلب مدحت باشا ان يعرف على الحقيقة ماهي قوة الدولة العلية . فقال بمض العلماء ان ما يلزم للمملكة ان تفعله هو ان تتكل على المولى سبحانه وتعالى وتقبل على الحرب

« فقال مدحت باشا : اذا رمنا الاعلان بالحرب لزمنا بالضرورة ان تكون لنا قوة عسكرية مكافئة فاذا غلظت في ذكر مقدار قوتنا العسكرية فناظر الحربية الحاضر الآن بيننا ينهني على غاطي فأقول ان عدد عساكرنا الان يبلغ من ٥٠٠٠٠٠ الى ٦٠٠٠٠٠ وبمحمده تعالى وبعباية مولانا وسلطاننا العظم قدامت هؤلاء العساكر بالسلاح الكافي فصاروا مستعدين للقتال وقد اوصينا من اميركا على مقدار وافر من قراطيس البارود ولكن اذا صار الاعلان بالحرب يحتمل ان يقع القبض عليها قبل وصولها الى الاستانة ولا يخفى عليكم ايضاً أنا الآن لادرهم لنا ولا دينار وابواب الصيارفة واصحاب المعاملات المالية مقفولة دوننا (كذا في الاصل والصواب مقفلة) ولا يمكننا ابقاء جيش بدون دراهم

« فقال رؤف بك (ابن المرحوم رفعت باشا) : نعم ان لنا من الاسباب

ما يخيفنا من الحرب ولكن اذا قبلنا لأئحة المؤتمر لم يبق ريب في انقلاب السلطنة فالجرب كداء الحى يمكن لنا ان نتخلص من رزته ولكن لأئحة المؤتمر كداء الرثة عاقبته القبر لا محالة ففاية ما يلزمنا فعله هو ان نلبس الصوف ونوقد الشمع الاحمر ونغالب العدو

« فقال مدحت باشا : ان قوائمتنا (اوراق) المسالية فى بنس ويحتمل انها تزيد بنساً وقد عهد انه اتى على فرنسا زمان بلغت فيه قيمة الخداء الى ٢٧٠٠٠ فرنك (سبعة وعشرين الفاً) فن ذا الذى يدري ما يصيبنا اذا اقدمنا على الحرب فيحتمل انه بمد مدة قصيرة يعوزنا القوت فتمنى الناس ان نكون قد قبلنا اقتراحات المؤتمر

« فقال محمد رشدى باشا (الصدر السابق) : ان ما قاله جناب الصدر الاعظم صحيح الا ان قبول اقتراحات المؤتمر يحرم سلطنتنا السنية من الاستقلال ، والحرمان من الاستقلال يشبه الاضمحلال ،

فقال شيخ الاسلام : انى على رأي الصدر الاعظم ولكنى ارى ان رفض الاقتراحات اولى . فقال شيخ الاسلام السابق : ان الواجب علينا واضح جلي وهو رفض هذه الاقتراحات لانها تسلب منا الاستقلال « فقال عابدين بك « مدير البورس » : ان اربعين مليوناً من العثمانيين يختارون الحرب على ضياع حقوقهم وشرفهم فأمرونا بالقتال فاننا مطيعون « فقال الصدر : ان كنت قد اطلمت على افكار اهل المجلس ايقنت

بانهم يرون ان قبول اقتراحات المؤتمر يحرم الدولة العلية من الاستقلال . فأجاب سائر الاعضاء بقولهم « نعم نعم » هذا رأيهم . ثم قال عددة من العلماء هل تداخلنا نحن فى حقوق دول اوروبا الذين لهم رعايا من المسلمين

فكيف يمكننا ان نسمح لهم بأن يتدخلوا في مصالح دولتنا؟ فقال مدحت باشا: يبعد عن التصور أننا اذا رفضنا هذه الاقتراحات يكون ذلك باعثاً على حرب عمومية ولكن ينبغي لنا ان نعلم ان الافكار العمومية في اوربا كلها ضدنا والافكار العمومية هي اقوى شيء في ايامنا هذه كما لا يخفى . فقال جميل باشا: اذا حاميينا عن شرفنا فان الافكار العمومية تميل اليينا . فقال عابدين بك: انا نفتخر بأن نفكر بأن جوابنا السلبي يوجب سفر ستة سفراء من الاستانة في آن واحد فهو يذكرنا فخر الملة العثمانية ومجدها فقد عز منا على ان نجابوب هؤلاء السفراء جواباً واحداً . ثم قال البعض نم ان تهيبج الافكار العمومية مما يتأسف منه ولكن ماذا نعمل بعد ما اخبرنا الدول بالصدق عن مقاصدنا وحقائقه شأننا في هذه المدة الاخيرة الطويلة فرفضوا رأينا وعولوا على رأيهم فاذا توكلنا على الله تعالى وحاميينا عن شرفنا واستقلاليتنا فلنا امل في ان افكار محوم الناس في نهاية الامر تكون معنا لاعلينا وخصوصاً ان القانون الاساسي الجديد قد شمل غير المسلمين من رعية دولتنا بالحقوق التي شمل بها المسلمين سواء . فقال صوا باشا: اذا كان سفر سفراء الدول الست في آن واحد من شأنه ان يهيبج علينا الافكار العمومية يلزم ان لا يبرح من باننا ان هذه الوسيلة هي الوسيلة الوحيدة لصون شرف السلطنة العثمانية وكل العثمانيين يعنيهم هذا الامر ويهمهم فان اخترنا الموت على اهانة شرفنا فالافكار العمومية في اوربا تنى على اختيارنا ولا شك ان الافكار العمومية في اوربا اقوى من دولها .

« فقال مدحت باشا: لا ريب في ان شرف الاهالي منوط بشرف

الدولة . فالدولة العملية ان لم تعرف كيف تحافظ على استقلاليتها فلا تستحق

ان تسمى مملكة . فقال ياورباشا (ناظر البوسطة والتغراف) : لو فرض ان تلك
المطالب اقترحت على شخص لكان يرفضها لاجالة فكيف لا ترفضها مملكة
« ثم ألقى وكيل بطرك الارمن الكاتوليك مقالة طويلة في عدم لزوم
قبول اقتراحات المؤتمر . ثم قال حاخام الاسرائيليين : ان ابناء ملتي عازمون
على ان يبذلوا ارواحهم للمحافظة على استقلال السلطنة العثمانية (سرو) من
الحاضرين عموماً) ثم قال ياتقوسكياديس افندي احد اعضاء شورى الدولة
وهو من طائفة الاروام : كلنا نفتخر بأن نكون من رعية سلطان شمل قومه
بقانون اساسي كالذي انتم علينا به مولانا السلطان المعظم وانما استعداد لان
نوت محافظة على هذا القانون وبحب وطننا^(١) ثم قال الصدر الاعظم (اذذاك
مدحت باشا) المملكة التي تنم على رعاياها بالحرية والاستقلالية جديرة بأن
تطلب لنفسها ايضاً الحرية والاستقلالية . ثم قال محمد رشدي باشا : ان القانون
الاساسي وان كان قد نشر أخيراً إلا أن مولانا السلطان المعظم وعد
بامتيازات عظيمة في الخط الهمايوني الذي اصدره يوم جلوسه على سرير
السلطنة السنية وكان صدوره قبل عقد المؤتمر فالفضل في اصدار هذا
القانون عائد الى مولانا السلطان وليس هو من تشدد المؤتمر على مولانا^(٢)
« ثم قال وكيل بطرك الروم الارثوذكسيين اني استحسن ما قاله
صوا باشا بالنيابة عن ابناء ملتي . ثم قال وكيل پروتستانط : ان القانون

(١) انت ترى ان المسيحيين وحاخام اليهود ما نطقوا الا بعد ما رأوا اجماع اهل
المجلس على رفض الاقتراحات فما كان عن رأي وصدق فهو من اثر القانون الاساسي
وما كان غير ذلك فهو مصانعة لئلا يتهموا بأن لهم ضلعاً مع اوربا التي تدعى الانتصار لهم
(٢) اراد رشدي باشا نفي تهمة كانت تلمب بالنفوس وهي ان السلطان اعلن
القانون الاساسي لخداع اوربا والتمويه عليها بارضاء النصارى لتكف عن التعرض للدولة

الاساسي شمل سائر الرعايا بحقوق واحدة فكاننا عثمانيون وكلنا نكره
 تداخل الاجانب وقد صدق الصدر الاعظم في قوله ان هذه المسئلة خطيرة
 لا يلزم انهاؤها على عجل فيحتمل أنه يوجد سبيل لاصلاحها بدون قتال
 والظاهر أن الاولى ان تترك لمجلس الوكلاء ان ينهى هذه المسئلة لصون
 شرفنا (ضحك في المجلس). ثم صرخ أحد الحاضرين قائلاً « نعم انا نحافظ
 على شرفنا بانفسنا فقد مضت تلك الايام التي كنا نوكل فيها وكلاءنا (اي
 الوزراء) بأن يحافظوا على شرفنا». ثم قال حالت باشا (ناظر التجارة اذ ذاك
 انا أيضاً مستعد لأن احافظ على شرفنا ولكن مرادي ان لا يقترن ذلك
 بسفك دم فينبغي لنا ان نسمى في اصلاح هذه المسئلة بدون حرب فالاولى
 عدم الاعلان بالحرب بالمرّة. وعند ذلك حصلت ضجة في المجلس فصرخ
 السامعون قائلين « غير ممكن غير ممكن لا بد من الحرب » ثم قال وكيل
 بطرك الارمن : « غير واجب على الأرمن ان يصرخوا بمتابعة بقية الرعايا
 العثمانية في جميع مقاصدهم فان البطارك الآن منحرف المزاج لكنه أرسلني
 لأقول ان الارمن كانوا دائماً صادقين في طاعة الدولة العلية في الايام السالفة
 فهم عازمون على ان يبقوا كما كانوا وهم يدعون الآن بقية ابناء الوطن
 لأن يتحدوا معهم للمحاربة عن شرف السلطنة واستقلاليتها (اظهر المجلس
 سرورهم من هذا المقال »

« ثم قال الصدر الاعظم : هل لي ان افهم مما ذكرتموه انكم وفضتم
 مطالب المؤتمر وهي تشكيل لجنة مختلطة كيفما كان تشكيلها ؟ » صراخ من
 اهل المجلس نعم نعم قال : وترفضون الاقتراحات الممدلة التي عرضها
 السفراء ؟ وهل تنبدون بدون شرط سائر المطالب المختلفة التي عرضها

علينا المؤتمر؟ وهل اتم عازمون وجازمون بهذا الرفض وان كان رفضكم هذا كمالا يخفى عليكم يوجب سفر السفراء من الاستانة؟ فقال اهل المجلس « نعم نعم قد رفضناها » ثم قال: « من كان يخالفنا في هذا الرأي فليقم عن كرسيه » فلم يقم احد. ثم قال ابراهيم باشا: لا يوجد احد على غير هذا الرأي سواء كان في هذا المجلس او في خارجه. ثم قال فائق باشا (دلاسه طلياني الاصل): انا على رأي المجلس ولكن لا بأس في ان اذكركم ان رفض مطلبين من مطالب المؤتمر يكون سبباً في سفك الدماء اما اذا قبلناها فاننا نكون في السلم (فصل ضخمة في المجلس)

« ثم قال الصدر الاعظم اذا اردنا المصالحة والاتفاق مع مرخصي المؤتمر فان ذلك من شأنه ان يقذف بنا في مهواة والله اعلم ان يقذف بنا فالظاهر ان الحرب اولى ومع هذا فاني ادعوكم لأن ترووا في قبول بقية مطالب المؤتمر أما المطلبان الاخيران فالأرجح رفضهما. فقال سيدنا شيخ الاسلام ان لأئمة المؤتمر كلها خطر على بلادنا فعلينا الآن ان نرفض المطلبين الأهمين » ثم بعد مذاكرة قصيرة في عرض القانون الاساسي على الدول « قال محمود باشا الداماد: علينا ان نرفض المطلبين الأهمين من مطالب المؤتمر فاذا كانت الدول بعد ذلك تريد ان تعرض علينا سائر المطالب على صورة اخرى امكنتنا ان نجتمع مرة اخرى في هذا المجلس. ثم ختمت الجلسة بعد ان استقر الرأي على رفض اقتراحات المؤتمر بأسرها » اهـ

هذه هي مداولات (المجلس الأمي) الذي اجتمع قبل مجلس المبعوثان للنظر فيما يتعلق بشأن لائحة المؤتمر والحرب التي تتوقع من رفضها. وقد ذهب مصباح الشرق الأغر الى ان مدحت باشا هو الذي كان مصمماً على

رفض مطالب الدول التي يرى المصباح ان الصواب في قبولها وانه هو الذي اوحى الى اهل المجلس وجوب رفضها وقد رأيت ان مدحت باشا كان اصوب اهل المجلس رأياً واشدهم حذراً ، وابعدهم في المواقف نظراً ، ويلييه في الحذر حالت باشا ثم وكيل دولة البروتستانت . وانه لم يجنح احد الى قبول سيطرة الدول على الدولة العلية ومراقبتهم احكامها التي تتضمنها المطالب الا ذلك الطلياني المسمى فائق باشا . وأن سائر اهل المجلس كانوا متفقين على تفضيل الحرب على قبول مطالب الدول . فاذا كانوا يعتقدون ان الصواب في قبول ذلك وانه هو الذي ينبغي الدولة ويرضى السلطان فهل يتصور ان جميع أولئك الوزراء والعلماء والوجهاء ورؤساء الاديان وهم خاصة الملكة قدموا طاعة هوى مدحت باشا على استقلال عقولهم وافكارهم وعلى مرضاة المهتم وموافقة سلطانهم ونجاة اوطانهم ؛ ان كان هذا صحيحاً فهو دليل على انه لم يكن في الدولة الا رجل واحد شرير هو مدحت باشا وكل من عداه فهو عدم . وان امة هذا شأنها وهؤلاء رؤساؤها وقادتها لا يمكن ان تستقل مع عدم مراقبة اعدائها وسيطرتهم عليها فكيف اذا كانت تحت مراقبتهم !!!

الوفد الاسلامي الى الصين

قال صديقنا الفاضل الكامل محمود بك سالم عند ما حدثت فتنة اوربا مع الصين : ان هذه الفتنة وتحرش اوربا بالصين مما يظهر مكانة مسلمي الصين العالية ورفعة شأنهم وقوتهم المادية والادبية - او ما هذا مناه - وما زالت الايام تظهر صدق قوله حتى رأينا مسمر نار هذه الفتنة عاهل الالمان ، وداهية اوربا في هذا الزمان ، قد قدر هذه القوة قدرها وورد الاستفادة منها بصديقه السلطان الاعظم للمسلمين الذي يعترف له مسلمو

الصين بالخلافة الدينية ويخطبون باسمه على منابرهم فطلب منه أن يرسل وفداً إسلامياً تكون وظيفته الظاهرة العمومية نهي مسلمي الصين الأشداء الاغنياء أن يساعدوا الثوار الصينيين على المسيحيين وفائدة الخصوصية الحفية اعلام أولئك المسلمين بأن عاهل الالمان صديق خليفهم وحليفه لتستفيد ألمانيا بذلك مثلاً كانت تستفيد انكترا في الهند من قبل فانها ما رسخت قدمها في تلك الممالك الا بنفوة الدولة العلية الدينية حيث كانت تقع مسلمي الهند بانها خليفة الدولة العلية

اجاب مولانا السلطان أيده الله تعالى دعوة الماهل غليوم وارسل وفداً مؤلفاً من ستة نفر منهم عالمان من علماء الامتاة ورئيسه من قواد الجيش المماني وسيكون هذا الوفد آلة بيد الالمان الناهيين لانه لا يعرف اللغة الصينية فالالمان هم الذين يلقونه ويلقون عنه ولهذا نقل الينا ان الروسية كان مستاءة معارضة في ارسال هذا الوفد . وقد مضى منذ ايام من السويس بانته الله السلامة وجعل رحلته مفيدة نافعة في تخفيف الشر واستبدال الخير به

زيارة القبور . والمدرس المتروك

حدثنا غير واحد عن شيخ يقرأ كتاب (الدر المختار) درساً انه بلغ من ايام الكلام على زيارة القبور من كتاب الجنائز فنحط في الكلام خبط عشواء في منة ظلماء اذ انشأ أول لغوام ما يأتونه من البدع والمنكرات عند زيارة قبور الصالحين . من ذلك انه أول دعاءهم ايام في المساجد لقضاء الجوائح ، ودفع المكروه ، واستعانتهم بهم في المهمات ، وان كانت من الموبقات ، بأن هذا من باب طلب الدعاء منهم قال : « كأنهم يقولون نحن ندعو الله تعالى وندعوكم لان تدعوا منا » . ولو كان كل عامي فصيها يحيل

الحنفية ، وقاضياً في المحكمة الشرعية ، لأمكنه ان يهتدي الى هذا التأويل ، عند ما يضل سواء السبيل ، وان لم يعتقد بقلبه ، انه ينعمه عند ربه ، لانه تعالى يقول « فلا تدعوا مع الله أحداً » ويقول « إياك نعبد وإياك نستعين » ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في سيرة سلف الامة ان الدعاء يطالب من الموتى وحديث البخارى في الاستسقاء بالعباس حجة على بطلانه واذا علم القراء ان هذا المدرس هو الذي دارت بيننا وبينه المناظرة في هذا الموضوع في المسجد الحسيني المنشورة في العدد الخامس من المجلد الثاني وتذكروا ان مبدأ المناظرة ان الشيخ المدرس عند ما رأى الزائر ينطوفون بقفص قبر سيدنا الحسين (عليه السلام والرضوان) ويقبلونه قرأ قوله تعالى « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون » وأشار اليهم لمحبوا من تلون الشيخ ومخاطبته كل أحد بما يظن انه يقبله ليعظم في نفسه ويكبر في عينه . واذا علموا بعد هذا انه كان رئيس محفل ماصوني يزول ذلك المحب لان الناس لا يمجبون من ألوان الحرباء . واذا علموا انه هو الذي كتب في المؤيد بنم علوم الحساب والهندسة وتقويم البلدان وجعل توقيمه (ثابت بن منصور) وتذكروا كيف فند مزاعمه أحد المجاورين يطمون درجته في العلم وانه فيه غير ثابت ولا منصور . بل لو علم حاضر وادرسه كل ما تقدم لما اكتفى بعض نهاء الطلاب بالرد عليه في وجهه . وقد كتبتنا هذه الكلمات تقيها له على قدر نفسه ونهيا له عن المنكر من غير تصريح باسمه ، عماه ينتمى عن ذلك التدليس ، ويترك ذياك التليس ، ويأخذ بطريقة السلف الصالحين ، ويترك الخوض باهل الحق واليقين ، فانهم لهم الثابتون المنصورون « بل تذف بالحق على الباطل فيدمنه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »